الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 13) – 1992 – 1413

ارشيو نشريات
جامعة تخصصي دارالحد
٢١٤٣٨

الرافد

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

حقيقة عظمة ثورة الحسين

محمد شراره

منذ ولدت هذه المأساة ، وهي تمون الفكر العالمي بأرفع ما وصلت اليه البطولة وأقصى ما بلغه الاستشهاد ثم تمون العاطفة بأشجى ما وصل اليه الحزن النبيل . وبرغم القرون المتتابعة على ولادتها بقيت معانيها تتجدد في كل لحظة ، وبقيت مصدراً عجيباً من مصادر الوحي الفني للاقلام السائرة في دروب الحياة الى منتهى القمم الشوامخ .

من ذلك الزمن الذي وقعت فيه الى هذا اليوم الذي تفصل بينه وبين يومها الاول اربعة عشر قرناً ، وهي تبدو وكأنها على موعد مع التجديد الرائع في سمو المعاني وسمو الاقلام التي يسيل في لعابها نشيد الخلود .

عظمة هذه المأساة لم تكن في اختيار الموت على الحياة أو مواجهة العددالقليل للعدد الهائل الكبير أو في الصبر المذهل أمام وحوش الغابات ، وإن كانت هذه المعاني فصولاً خالدة من فصولها الكثيرة ، وانما كانت في شيء اخر . . كانت في ذلك التحدي المخيف للطغيان الاحمق والظلم البليد والجبروت الغبي . . نعم كانت في هذا المعنى الذي ينتصب في تاريخ الشعوب كما ينتصب المارد الجبار ، ريلوح كما يلوح الصملاق أمام الزرازير الجبانة .

وفي عقيدتي ان طغاة الحكم الاموي كانوا أجهل الناس بالاخلاق العربية العامة ، كما كانوا أغبى الناس في معرفة النفس العربية البسيطة ووعي أسرارها . وقد ظن أولئك الاغبياء الحمقى ان المال وحده كاف في إماتة كل نبل وإبادة كل شرف وإن شراء عدد من زعماء العرب في ذلك الوقت كاف في القضاء على الجوهر النبيل الذي يشع في قلوب البسطاء من الجماهير الكبيرة الواسعة ، وبالتالي كاف في القضاء على الحسين ومدرسته القائمة على تحدي الطغيان والوقوف في وجهه مهما ارتفع عبابه . وفي ظلمة هذه الغباوة اشتروا عمر بن سعد الطامع بامارة (الري) ، وأمثاله من الزعماء الاذلاء الذين تهاووا على بريق الذهب كما يتهاوى الفراش على لهيب النار . وبالتالي استطاعوا ان يقتلوا الحسين واصحابه بذلك الشكل الذي اخرج كل ما في نفوس الطغاة من نذالة وحقد وجبن واسفاف وازدراء بالقيم .

ولكن هل استطاعوا ان يقضوا على تلك المدرسة النبيلة التي أنشأها الحسين وخلق لها بتضحيته وتضحية اصحابه وأهله المثل العملية العليا ؟

الجواب معروف عند كل ملم بالتاريخ وحركته . لقد وُوجه الحكم الأموي بكثير من الغضب وكثير من الصفعات ، كما وُوجه في كثير من الاحيان بكثير من الاحتقار . وفي ذلك الحوار المذهل الذي دار بين يزيد وزينب بنت علي ما أشعر يزيد ، ان كان عنده شعور بان الدنيا مقبلة على عاصفة وان قتل الحسين لم يكن سوى نذير يكاد يزعزع الارض تحته .

لقد شمت الطاغية الاحمق بقتل الحسين أمام اخته ، وظن ان زينب امراة ذليلة هانت عليها الكرامة بعد قتل من قتل من أهلها وذويها ، فراح يتحداها ويتحدى الكرامة الشامخة في تلك النفس العظيمة التي يجب أن تكون مثلاً لكل امرأة كريمة .

فماذا كان موقف زينب ؟ وكيف كان ردها على شماتة الشامت الخسيس ؟

«ان جرت عليّ الدواهي مخاطبتك فأني لأستصغر قدرك واستعظم تقريعك واستكبر توبيخك» .

بهذه الكلمات القليلة أجابت زينب ، ولكن أية كلمات هذه الكلمات ! وأي عوالم من التحدي تحمل في كل حرف من حروفها ؟ لو عض يزيد الحديد في تلك اللحظة لكان ذلك أهون عليه من أن يسمع حرفاً واحداً منها ان كان عنده إحساس !

مهما يكن شعوره فقد أدرك بالتأكيد ان مدرسة الحسين باقية وانها ستبقى ، وان السعادة التي تخيلها حاثمة عليه أو ستحوم عليه بقتل الحسين واصحابه لن تكون سوى نعش له ولدولته .

وقبل زينب وقف رجل في الكوفة[1] أمام عبيد الله بن زياد موقفاً لا يقل عن موقف زينب ودفع حياته ثمناً لموقفه . ثم تتابع الزمن وتتابعت المواقف الخالدة .

ومعنى ذلك ان يزيد فشل ، وان الدرس الذي ألقاه الحسين على الاجيال بقي يتنقل من جيل الى جيل ، وسيبقى على تنقله ما دام للكرامة قيمة وللاخلاق مثل عليا .

(١) هو عبد الله بن عفيف الأزدي .

أي خطب أبكى النبيين ؟

أي خطب عرى البتول وطاها ... ونحى أعين الهدى فعماها
أي خطب أبكى النبيين جمعاً ... وله الأوصياء عزّ عزاها
لست أنساه في ثرى الطف أضحى ... في رجال إلوهها زكّاها
نزلوا منزلاً على الماء لكن ... لم يبلوا من الحمام تقضاها
وقفوا وقفة لو أن الرواسي ... وقفتها لزال منها ذراها
بأبي مالكي نفوس الأعادي ... صرعتها العداة في بوغاها
وبنفسي ربائب الخدر أضحت ... للعدى مغنماً عقيب حماها
بعدما كن في الخدور بصونٍ ... سلبت لكن العفاف غطاها
لهف نفسي لها على النيب حسرى ... لم تجد في السباء مَن يرعاها !

الشيخ حسين القديحي (المتوفى ١٣٨٧هـ)